# سنّة النبيّ الأعظمﷺ من وجهة نظر المستشرقين

د. مجيد حيدري فر[1]

عبد الله غلامي[2]

م.م محمد علي حجتي[3]

**تعريب**: رائد علي طالب

**المقدّمة**

تحظى السنّة النبويّة دائمًا باهتمام علماء الغرب ومحقّقيهم. وبأهداف وفرضيّات مسبقة خاصّة سلّطت أضواء البحث على زوايا من سيرة النبيّ ﷺ، وطرحوا في هذا المجال أيضًا شبهات بخصوص السنّة القوليّة والسنّة العمليّة والصفات الفرديّة للنبي ﷺ؛ لذا فإنّ المستشرقين قد شكّكوا في مجالات مختلفة من حياة النبيّ ﷺ، مثل الاعتقاد بالله، السيرة العباديّة كالصلاة...، والسيرة السياسيّة والاجتماعيّة، مثل التّعامل مع غير المسلمين، وكذلك بالنسبة لخصوصيّاته الفرديّة والاجتماعيّة.

يتعرّض هذا البحث لدراسة ونقد بعض هذه الشبهات آخذًا بنظر الاعتبار سيرة النبيّ ﷺ. وقد عالج البحث الإشكاليّة في ثلاثة محاور أساسيّة جاءت كالآتي:

- **أوّلًا**: المفاهيم
- **ثانيًا**: المستشرقون واعتقادات النبيّ الأكرمﷺ
- **ثالثًا**: المستشرقون وصفات النبيّ ﷺ وأخلاقه

---

١. عضو الهيئة العلميّة لمركز معراج لأبحاث علوم الوحي...

٢. طالب دكتوراه، علوم القرآن والحديث في الجامعة الحرّة/ طهران.

٣. ماجستير في التفسير وعلوم القرآن.

## أوّلًا: المفاهيم

### ١. الاستشراق: (Orientalism)

يراد بكلمة الاستشراق (orient) لغة مشرق الأرض والشرق الأقصى[١] وهذه الكلمة تعادل الكلمة الإنجليزيّة (east) التي تعني جهة شروق الشمس[٢]:

والفرق بين الكلمتين هو أنّ (east) جهة شرق كلّ شيء، أو تقال للمكان لكن (orient) تطلق على قسم خاصّ من الكرة الأرضيّة، كما ورد ذلك في قاموس أكسفورد:[٣]

اصطلاح استشراق في اللغة العربيّة المأخوذ من كلمة (شرق) بمعنى مكان شروق الشمس، يطلق على دراسات خاصّة، ولذا عرفه غير المسلمين بـ(معرفة الإسلام)[٤].

يقول الدكتور علي الصغير: «الاستشراق دراسة يقوم بها الغربيّون لتراث الشرق وبخاصّة كلّ ما يتعلّق بتاريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته... وعليه فإنّ المستشرق هو الغربيّ الذي يدرس تراث الشرق، وكلّ ما يتعلّق بتاريخه»[٥].

ولذا فإنّ دراسة السيرة النبويّة تعدّ إحدى فروع دراسات المستشرقين وتحظى بأهميّة كبيرة، لكن يجب القول بأنّ هذا التعريف تسامحيّ، لأنّ المعنى الذي يتبادر له في الذهن هو دراسة الإسلام والمسلمين، ولعلّ سبب ذلك، الاهتمام الواسع من قبل اليهود والمسيحيّين بدراسة الإسلام والمسائل التي تتعلّق به، والحال أنّ بعض الغربيّين والمحقّقين المسلمين الذين يقطنون الغرب جغرافيًّا يعدّون من المستشرقين أيضًا[٦].

---

١. بور، القاموس الصغير، ٣٥٣.

2. Oxford Advanced Learnings Dictionary, 397.

3. Orient, The Eastern Part of the Worlds Specialy China and Japan (As above p.895).

٤. الصباغي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ١٩.

٥. الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنيّة: ١١، وراجع أيضًا، الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ١٢١ بعبارة أخرى، المستشرقون هم عدّة من علماء الغرب أوقفوا أنفسهم لدراسة تراث الشرق وتحقيقه بشكل عام، ودراسة الثقافة العربية، وتاريخ العرب والإسلام، والمسلمين وعلومهم وآدابهم وأخلاقهم وسننهم بشكل خاصّ (راجع، مجلة الفقه، ١٦٣/ ٥٤).

٦. راجع مجلّة الفقه، ٥٤/ ١٦٣-١٦٤.

الجدير بالذكر أنّ النشاطات العلمّية للمستشرقين لم تكن نابعة عن احترام التراث الإسلاميّ، بل هي من جانب كانت بسبب حاجتهم للمصادر الإسلاميّة، ومن جانب آخر معارضة للإسلام واتّساعه، وبغية لاستعمار البلدان الإسلاميّة في المجالات السياسيّة، والعسكريّة، والاقتصاديّة، والثقافيّة.

**٢. السنّة**

يعدّ هذا اصطلاح الأكثر استعمالًا في العلوم الإسلاميّة على الخصوص في بحث سيرة النبيّ ﷺ.

جاء اصطلاح (السنّة) في اللغة بعدّة معان.

يقول ابن فارس: «مادة السين والنون والواو (سنو) أصل واحد بمعنى جريان الشيء وإلقاءه»[١]...

ويقول ابن منظور: «السنّة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة»[٢].

**ويقول الراغب**: (السنّة) تعني الطريقة، وسنّة النبيّ يعني طريقة أو طريق النبيّ الذي يختاره ويضعه هدفًا له.[٣]

واستخدمت السنّة في آيات القرآن والأحاديث بهذا المعنى والمفهوم، ومثال ذلك: جاءت مفردة (السنّة) في الآية: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ (الفتح: ٢٣).

**وفي الحديث**: «من سنّ في الإسلام حسنة فعمل بها كتب له مثل أجر من عمل بها..»[٤] فإنّها استعملت في هذا المعنى.

الجدير بالذكر أنّ بعض المحقّقين قد عمّم مفهوم السنّة إلى سيرة الصحابة أيضًا[٥] وهو غير صحيح حسب عقيدة علماء الشيعة.

---

١. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣: ٦٧ و١٠٣.

٢. ابن منظور، لسان العرب، ١٣: ٢٢٥.

٣. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ٢٤٤٥، راجع: القاموس المحيط ٢: ٥٤.

٤. مسلم، صحيح، ٤: ٢٠٥٩.

٥. راجع: الخطيب، السنّة قبل التدوين، ١٨.

السـنّة في الاصطلاح: يُراد بالسنّة عند علماء الأصول هو قول النبيّ وفعله وتقريره[١] مبيّنة ومثبّتة لحكم من الإحكام[٢].

وعند فقهاء أهل السـنّة اسـتخدمت مقابل البدعة، وتطلق عـلى الأمور التي لها جذور في الدين، وأحيانًا تطلق مقابل الفريضة وعلى الأمور المستحبّة.

فقهاء الشـافعيّة في تعريفهم (السنّة) علاوة على القول والفعل والتقرير، فإنّهم يدخلون في التعريف الصفات الخَلقيّة والخلقيّة للرسول ﷺ، وهذا المعنى للسنّة يؤيّده المحدّثون أيضًا[٣].

والسـنّة التي يبحث فيها المسـتشرق هـو المعنى الذي ذكـره الشـافعيّ والمحدّثون؛ لأنّ المسـتشرقين، إضافة إلى بحثهم في قول النبيّ الأكـرم وفعله وتقريره، فإنّهم قد تناولوا بالبحث الدقيق صفات النبيّ ﷺ الفرديّة والاجتماعيّة، وطرحوا شبهاتهم في هذه المجالات.

١. المظفر، أصول الفقه، ٣: ٦١.

٢. الحسني، أخبار وآثار ساختگي، ٢٢.

٣. راجع: معارف، التاريخ العام للحديث، ٣٤.

## ثانيًا: المستشرقون واعتقادات النبيّ الأكرم ﷺ

### ١. معرفة الله

شنّ بعض المستشرقين هجومه نحو عقيدة التوحيد عند النبيّ ﷺ فقال:

ليس هناك فارق ما بين عقيدة محمّد حول (الله) وبين عقيدة العرب قبل الإسلام.

**وقال مكدونالد:** (Mackdonald) «إنّ العرب قبل محمّد كانت تعتقد بوجود الله، ويسمّونه (إلــه) أو (الله) (وكان لديهم نوع عبادة لله) وهذه المفردة كانت عربيّة الأصل أو آراميّة الأصل مشتقّة من كلمة (الاها) التي تعني (الله)»[١].

**يقول جولدزيهر:** «إنّ محمّدًا قد تأثّر بالآخرين بخصوص عقيدته بوجود الله، وإنّ فكره بالله أقلّ مستوى من فكر الأديان السابقة ومنها اليهوديّة[٢] وفي مورد آخر يذكر بأنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد تأثّر بأفكار المسيحيّة»[٣].

ومن أجل أن يتّضح المطلب، نستعرض كلا العقيدتين في الله:

#### أ. عقيدة قبائل العرب في الله قبل الإسلام

كان العرب كسائر عباد الأصنام لهم آلهة متعدّدة في أشكال مختلفة، فبعضهم على شكل إنسان وبعض بشكل حيوان، وأحيانًا يصنعونها مركّبة من الاثنين بأحجار خاصّة وبشكل طبيعيّ[٤].

يعتقد عرب الجاهليّة بأنّ (الله) خالق الكون والأصنام شركاؤه، ففي عباداتهم وقسمهم وفي أمور أخرى يذكرون اسم (الله)، فمثلًا عند بدئهم بعمل كانوا يقولون (باسمك اللهم)، لكن حين العبادة وطلب الحاجة، فإنّهم يتوجّهون إلى الأصنام[٥].

---

١. دائرة المعارف الإسلاميّة، ٢: ٥٥٧ - ٥٦١.

٢. كلدزيهر، العقيدة والشريعة الإسلاميّة، ١٧ - ٢٠.

٣. م. ن، ٢٤.

٤. راجع: توفيقي، آشنايي با أديان بزرگ، ٣٤.

٥. م. ن.

يذكر هشام الكلبيّ، المؤرّخ العربيّ القديم، أصنامَ مختلف القبائل، فيقول:

(سواع) كان صنم هذيل بن مدركة، و(ودس) لبني كلب و(يغوث) أصنام مذحج، ولأهل جرش (يعوق)، لخيوان (نسر)، ولبني حمير (منات)، وللأوس والخزرج (فلس)، ولطي (لات)، وللطائف (عزّى)[1].

وقد جاء ذكر بعض هذه الأصنام في القرآن الكريم.

**ب. العقيدة الإسلاميّة في الله**

تختلف عقيدة الإسلام في الله عمّا هي عند المشركين اختلافًا كبيرًا، وحتّى عمّا عند اليهود والمسيحيّين، وإن كان المشركون يعتقدون بخالقيّة الله، كما يكشف عن ذلك القرآن المجيد، بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف: ٨٧).

وقال تعالى أيضًا في سورة لقمان: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان: ٢٥).

**التحقيق**

نظرًا لمحاربة الإسلام للشرك وعبادة الأصنام، فإنّه يمكن القول إنّه لا يوجد أيّ وجه شبه ما بين عقيدة التوحيد في الإسلام وعقيدة عبادة الأصنام عند الناس حتّى يقتبسها منهم الإسلام.

ولا يمكن العثور على شواهد تاريخيّة تقول بأنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد سجد لصنم ولو لمرّة واحدة أو ليوم واحد، أو أنّه يحمل عقيدة خاصّة بالحجر كالتي يعتقد بها المشركون، أو أنّه له عقيدة كالدهريّين والملحدين، بأنّ الدهر موجب للحياة والموت، وإنّ هؤلاء كانوا في موقف حرب ومواجهة مع النبيّ فقالوا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤).

إنّ ما ترسمه النظرة اليهوديّة عن الله تختلف عمّا هي في الإسلام اختلافًا شاسعًا، ومثال

١. الكلبيّ، الأصنام، ١٨-١٧.

ذلك ما جاء في التلمود -أحد الكتب المقدّسة لدى اليهود- فقد نسب فيه الغضب والأفعال الوضيعة لله قائلًا: «حينما يغضب الربّ يفعل أفعالًا لا قيمة لها ولا وزنًا»[١].

بينما القرآن يصف الله بأنّه عليم: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٢).

وإنّ كلّ شيء عنده بقدر معيّن: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨).

**٢. المستشرقون والتعاليم العباديّة للنبيّ ﷺ:**

التعاليم العباديّة من قبيل: الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، هي من جملة المواضيع التي ناقشها المستشرقون مرّات عديدة، وطرحوا حولها شبهات متعدّدة[٢].

وإضافة إلى هذه التعاليم العبادية الأربع، فإنّ هناك تعاليم أُخر من فروع فقهيّة ومسائل كالقصاص، والإرث... هي أيضًا قد خدش بها المستشرقون وشكّكوا، وكنموذج على ذلك نتطرّق هنا إلى نظرتهم إلى الصلاة:

فبعضهم يشكّك في أصل تشريع الصلاة ويقول: إنّ محمّدًا قد أخذ الصلاة عن اليهود، ويعتبرون الأحاديث التي تذكر عدد ركعات الصلاة بأنها مأخوذة من الكتاب المقدّس، يقول ونسينك: أخذ محمّد الصلاة من يهود ومسيحيّي بلاد العرب، وأحاديث عدد ركعات الصلاة التي ذكرها صحيح البخاري هي نفسها ذكرت في سفر الوجود[٣]، عن ابن عبّاس أنّ النبيّ جمع في المدينة عدّة صلوات، فجعل الظهر والعصر جميعًا والمغرب والعشاء جميعًا في غير خوف ولا سفر[٤] وفي نظري أنّ هكذا أحاديث تحكي عن أنّ عدد الصلاة الخمس في عصر النبيّ لم تكن مشخّصة[٥].

---

١. فؤاد، من افتراءات المستشرقين، ٨١.

٢. للاطّلاع أكثر حول شبهاتهم والإجابة عنها، راجع البدوي، الدفاع عن محمد، ١٩٢-١٥٩، المرطعني، افتراءات المستشرقين على الإسلام، ١٣٨-١٣٣، الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ٥٢١-٥١٦.

٣. البخارى، الصحيح، ٢٣: ١٨.

٤. م. ن، ١١٨: ١.

٥. دائرة المعارف الإسلاميّة، ٢٧٧/ ١٤٠ و٢٨٢.

ونقــل أيضًا عن كايتاني بأنّ عدد الصلاة لم يكن مشــخّصًا حتّى عصر خلافة عمر بن عبد العزيز.

ويحمل آخرون أمثال «مونتغمري وات وبروكلمان» نفس اعتقادات ونســينك، ويعتقدون بــأنّ النبــيّ الأكرم ﷺ شرّع الصــلاة الخمس حينما هاجــر إلى المدينة متأثّــرًا باليهود وبأعمالهم العباديّة، وعليه قد نظّم أعمال الدين الإســلاميّ كالدين اليهوديّ، وطبقًا لذلك رغب أصحابه بأعمال مشابهة لأعمال اليهود.

ويستدلّون على ذلك بقولهم بأنّ النبيّ ﷺ حينما كان في مكّة يصلّي الصلاة اليوميّة في وقتها، ولمّــا هاجــر إلى المدينة كان يصلّي في ثلاثة أوقات، ومن ثمّ خمس مــرات (أي بنفس عدد صلاة اليهود اليوميّة).

وهذا يدلّ على تأثّر النبيّ بأفكار اليهود وتأثّر الدين الإسلاميّ بالدين اليهوديّ.

وكذلك يستدلّ على رأيه بنزول آية: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾ (البقرة: ٢٣٨) في المدينة، وبأنّ في مكّة لم تكن سوى صلاة الصبح والمغرب وقيام الليل.

**ويقول بروكلمان**: إنّ أهم واجب الذي بواســطته انتشر الإســلام هو الصلاة، فقد كان في البدء يؤدّى مرّتين باليوم، ومن بعد صار ثلاث مرّات، ثمّ صار خمس مرّات باليوم، وكان يتوضّأ للصلاة كما هو رائج عند بعض مذاهب المسيحيّة.

**ويضيــف**: المؤمنون في مكّة يصلّون باليوم مرّتــين، وفي المدينة يصلّون كاليهود صلاة ثالثة عند الظهر.

**التحقيق**

في البدء من المناسب أن نذكر ما صرّح به القرآن، أنّ عيسى عليه السلام قد أخبر عن الله بتشريع الصلاة، وأنّ أمّه مريم العذراء قد أمرت بالسجود لله والركوع مع الراكعين.

صرّح عيسى عليه السلام حينما تكلّم وهو في المهد بأنّه مأمور بالصلاة، هكذا عرّف نفسه: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾ (مريم: ٣٠-٣١).

ففي هذه الآية يصف عيسى عليه السلام نفسه بأنّه عبد الله أعطاه الكتاب وجعله نبيًّا، وجعله مباركًا أينما كان. وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حيًّا، وفي آية أخرى يخاطب الله مريم عليها السلام: ﴿**يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ (آل عمران: ٤٣).

ومن قبل ذلك كان موسى عليه السلام قد خاطبه الله في جبل الطور ومن بعد أن أمره بالتوحيد، أمره بإقامة الصلاة، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ (طه: ١١-١٤). «وبعد ذلك أمره الله بالصلاة، قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس: ٨٧).

ومن قبلهم إبراهيم أيضًا وإسماعيل طبقًا لما عهد إليهما الله أن يطهّرا بيت الله للطائفين والعاكفين والمصلّين، يقول تعالى: ﴿**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (البقرة: ١٢٥).

فكما لاحظنا أنّ أصل الصلاة قد شرذع في الأديان الإلهيّة من قبل الإسلام.

ومن الضروريّ هنا أن نسلّط الضوء على عدد ركعات الصلاة في القرآن وفي أحاديث النبيّ ﷺ وفي الفقه أيضًا، لنثبت أنّ عدد ركعات الصلاة أو عدد الصلاة وكيفيّة أدائها في الإسلام، لا ارتباط له باليهوديّة أو المسيحيّة.

وإذا كان هناك تشابه في بعض الموارد بين الصلاة في الإسلام وبين دينين سماويّين آخرين (اليهوديّة والمسيحيّة) فهذا لا يعني تقليد النبيّ ﷺ لليهود، وأخذ أصل تشريع الصلاة من اليهود

والمسيحيّين، لأنّ الخطوط العامّة للأديان الإلهيّة من الأوّل وحتى الأخير هي متناسقة (أي: في المبدأ والمقصد لا يوجد اختلاف فيما بينهم، لكن في التشريع والواجبات والمحرمات يختلفون بمناسبة الزمان والمكان) ولم يأخذ الإسلام منهم شيئًا أبدًا.

بعبارة أخرى، إنّ الأديان الإلهيّة وإن اشتركت في أصل تشريع عبادات كالصلاة والصيام، فقد اختلفت في الكيفيّة والأداء، وليس هو تقليد بعض لبعض.

في جواب «وات وبروكلمان» بخصوص أخذ تشريع الصلاة من الشريعة اليهوديّة نقول: إنّ الروايات الإسلاميّة تثبت خلاف ما يدّعي، فقد نقل ابن سيّد الناس عن مقاتل بن سليمان: «فرض الله في أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشيّ، ثمّ فرض الخمس ليلة المعراج»[1].

يعني أنّ الله قد فرض في بدء الإسلام ركعتي صلاة الصبح وركعتي صلاة العشاء، ثمّ في ليلة المعراج فرض الصلوات الخمس على الأمّة الإسلاميّة.

وإنّ مقاتل بن سليمان صرّح بأنّ الصلوات الخمس كانت في زمن وجود النبيّ في مكّة[2]:

فهم جميعًا قد صرّحوا بهذا الأمر، وبناء على ذلك، فلا يبقى وجه لادّعاءات «وات وبروكلمان» بأنّ تشريع الصلوات الخمس كان تأثّرًا باليهود، وهنا سؤال: إنّ هذين المستشرقين وأمثالهم حينما كانت مصادر تحقيقاتهم الكتب الروائيّة والتاريخيّة لأهل السنّة، لماذا لم يأخذوا بنظر الاعتبار ما جاء في تلك الكتب -من روايات أخرى- أم إنّهم يغضّون النظر عنها؟!

وهنا نتابع شرح خصوصيّات وكيفيّة الصلوات في الأديان الإلهيّة الثلاثة:

---

١. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١: ١٢.

٢. مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ١: ٢٨٠، وكذلك ينقل ابن كثير في تفسيره ومؤلفاته الأخرى (تفسير ابن كثير ٢: ١٢٩٣، البداية والنهاية ٣: ٣٣ و١٥٧، السيرة النبوية، ١: ٤٢٧ و٢: ١٣٢ والحلبي في سيرته ١: ٤٧ و٤٣٠).

**أ. الصلاة عند اليهود والمسيحيّين**

لليهود نوعان من الصلاة، صلاة فرديّة وصلاة اجتماعيّة، يؤدّون الصلاة الفرديّة طبقًا للحاجة الضروريّة ولحلّ المشاكل، ولا ترتبط بوقت معيّن.

والصلاة الجماعيّة أو الاجتماعيّة (العموميّة) تؤدّى بموسم وقوانين خاصّة في مكان عامّ محدّد[١].

اليهود يؤدّون الصلاة ثلاث مرّات في اليوم[٢]، وهي عبارة عن:

**الأولى**: صلاة الصبح، ووقتها من طلوع الفجر إلى نصف النهار، ويقال لها: (فيلاي شحريف) فهم في هذه الصلاة يشكرون الله بأن لم يخلقهم غير يهود، وتعدّ أهم الصلوات عند اليهود[٣].

**الثانية**: صلاة نصف النهار أو القيلولة، ووقتها نصف ساعة من بعد الظهر إلى غروب الشمس حين ظهور النجوم في السماء، وتسمى (تفيلاي ميخا).

**الثالثة**: صلاة العشاء، ووقتها بعد المغرب عندما تطلع النجوم إلى نصف الليل، وإذا الشخص لم يتمكّن من أدائها بوقتها، يمكن أداؤها ساعة قبل شروق الشمس، ويقال لها (تفيلاي عرويت).

هذه الصلوات كانت تؤدّى فرادى، ومن ثمّ وبسبب وجود المعابد خارج المدينة ووجود الخطر على اليهود، صارت تُقام بشكل جماعيّ[٤].

إضافة إلى الصلوات الثلاثة هذه، فهناك صلاة أخرى مهمّة عند اليهود تدعى صلاة الشماع، وهي تؤدّى بصورة شكر ودعاء وقد ذكرت في سفر التثنية[٥] عن طريق عزرا وجمع من الكهنة

---

١. أسود، موسوعة الأديان والمذاهب، ١: ١٧٩.

٢. بدوي، الدفاع عن محمد، ١٦٣.

٣. درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماويّة، ١٠٧.

٤. راجع: م. ن، ١٠٧.

٥. التثنية ٦: ٩-٤.

اليهود، وتقام هذه الصلاة قبل صلاة الصبح والعصر وفيها ثلاثة أقسام[١].

اليهود يؤدّون صلاتهم من وقوف بأذكار وأناشيد متوجّهين إلى أورشليم التي يقال لها (عميدات)، ويقولون: إنّ هذه الأذكار تشتمل على ثلاثة أجزاء: الحمد، الثناء، وطلب الشكر[٢]، ويقيمون صلاتهم بغسل اليدين ووضع شال صغير على المنكب متوجّهين نحو أورشليم.

مع أنّ التوراة لم تحدّد قبلة معيّنة لبني إسرائيل، فإنّ اليهود من بعد موت سليمان عليه السلام يتوجّهون في صلاتهم نحو جبل صهيون في فلسطين، الذي فيه القدس[٣].

المسيحيّون أيضًا لديهم صلاة خاصّة في أوقات مختلفة تؤدّى في الليل والنهار، وهي سبع صلوات بهذا الترتيب: ١- صلاة الصبح، ٢- صلاة الساعة الثالثة، ٣- صلاة الساعة السادسة، ٤- صلاة الساعة التاسعة، ٥- صلاة الساعة الحادية عشر، ٦- صلاة الساعة الثانية عشر، ٧- صلاة نصف الليل، وهذه الصلوات هي في الواقع أدعية تؤدّى من قبل المسيحيّين[٤].

ذكروا في المسيحيّة أنّ علّة تشريع صلاة الصبح هي شكر الله إذ بعثهم من نومهم، وعلّة الصلاة الثانية إلى السادسة، فكل واحدة تختصّ بزمان غير محدّد، حدثت لعيسى (عليه السلام) في آخر يوم في حياته، والصلاة الأخيرة، أي صلاة نصف الليل فهي تذكير للمسيحيّين بأنّ عيسى عليه السلام سيظهر مرةً أخرى. وإضافة إلى الصلوات السبع هذه، فهناك صلاة أخرى خاصة بالرهبان يقال لها (ستاد)[٥].

---

١. للاطّلاع أكثر راجع: درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماويّة، ١٠٨-١٠٩.

٢. هنيلز، إرشاد الى الأديان الحيّة، ١: ١٨٠-١٨١.

٣. درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماويّة، ٩٩.

٤. شلبي، مقارنة الأديان، المسيحيّة، ٢: ٢٣٥.

٥. راجع: درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماويّة، ١٥٣-١٥٤.

**ب. الصلاة في الإسلام**

الصلاة في الإسلام هي عمود الدين، وأحبّ الأعمال عند الله، وإقامتها تدخِل السكينة على القلوب، وعدد الصلوات اليوميّة وركعاتها ذُكرت في كتب الفقه مأخوذة من الآيات وأحاديث النبيّ ﷺ والأئمّة الأطهار:

ففي آيات عديدة جاء التأكيد على الصلاة، وبعض هذه الآيات عبارة عن:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ١١٠).

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(الإسراء: ٧٩).

إنّ عدد الصلوات اليوميّة في الإسلام معيّن، وقد أدّاها النبيّ الأكرم ﷺطوال حياته بشكل جماعيّ، وهي عبارة عن: الظهر، العصر، المغرب، العشاء، الصبح[١].

وعدد ركعات كلّ واحدة من الصلوات كذلك محدّد، فكما جاء في كتب الفقه، فإنّ صلاة الصبح ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، والمغرب ثلاثة ركعات. وأوقات الفرائض كما بيّنتها كتب الفقه هي: وقت صلاة الظهر حين زوال الشمس حتى يصير الظلّ إلى قدمين، وصلاة العصر من حين الفراغ من صلاة العصر إلى أن يصير الظلّ أربعة أقدام، ووقت صلاة المغرب، من الغروب حتى غياب الشفق من جهة المغرب، وصلاة العشاء وقتها بعد الفراغ من صلاة المغرب إلى الثلث الأخير من الليل، ووقت صلاة الصبح، من الفجر إلى ابتداء شروق الشمس[٢].

لجميع الصلوات في الإسلام، واجبة كانت أم مستحبّة، أركان وواجبات وأذكار خاصّة، وتؤدّى بطهارة وباتجاه الكعبة[٣]، هذه الصلاة منذ التّشريع وعلى طوال التاريخ الإسلاميّ إلى

---

١. راجع: المهذب، ابن البراج، ٦٧: ١.

٢. المحقّق الحلّي، المختصر النافع، ٦٨-٦٩، راجع: الصدوق، من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٩- ١٤٤.

٣. م. ن، ٧٠-٧١.

يومنا هذا تؤدّى من قبل المسلمين بالصورة نفسها التي شُرّعت بها من دون أيّ تغيير، لكنّ الصلاة لدى اليهود قد بدّلت، وكذلك ذبح الحيوانات الذي له مكانة مهمّة في الديانة اليهوديّة والذي يجب أن يؤدّى في بيت المقدس، فقد ترك وبدّل إلى أداء صلاة، وذلك بعد تخريب بيت المقدس عام ٧٠م على يد الروم[١].

**التحقيق**

في المقارنة ما بين الصلاة في الشريعة الإسلاميّة وبين الصلاة في اليهوديّة والمسيحيّة، نستخلص عدّة نقاط مفيدة في الردّ على ادّعاءات المستشرقين.

**وهي:**

إنّ الصلاة عند اليهود تصلّى ثلاثة مرات فقط لكن في الإسلام تؤدّى خمس مرّات يوميًّا، مع وجود كثير من الصلوات المستحبّة.

إنّ الصلاة عند اليهود تشتمل على نثر ونظم وتصلّى بأناشيد ملحّنة، لكنّ الصلاة عند المسلمين لا شعر ولا غناء فيها.

الشيء المشترك في جميع صلوات اليهود (عميدات) التي هي ١٨ دعاء بركة (خير) وفي الصلاة التي تسمّى (شماع) عدّة أنواع من الذكر تُقرأ مشتملة على تسابيح، وطلب حاجات، وشكر، لكنّ الصلاة في الإسلام مع فيها فارق أساسيّ، لأنّ صلاة المسلمين تقرأ بعد الحمد أيّ سورة من القرآن مع عدا العزائم، الصلاة لدى اليهود تؤدّى نحو أورشليم لأنّ التوراة لم تحدّد قبلة معيّنة لبني إسرائيل، لكنّ الصلاة في الإسلام تؤدّى نحو الكعبة، وهو ما صرّح به القرآن الكريم[٢].

تفترق الصلاة عند المسيحيّين عن الصلاة عند الإسلام بعدّة مسائل، فإنّ الطهارة ليست شرطًا في الصلاة عندهم، بينما في الإسلام تعدّ الطهارة أحد شروط صحّة الصلاة ومن واجباتها[٣].

---

١. راجع: مالرب، إنسان وأديان، ٥٧.

٢. البقرة: ١٤٤.

٣. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١: ٢٣.

في الدين المسيحيّ سبع صلوات تؤدّى في أوقات مختلفة، وبعض هذه الأوقات لا يتوافق مع وقت أيٍّ من الصلوات في الشريعة الإسلاميّة، مثلًا الصلاة الخامسة تكون في الساعة الحادية عشر صباحًا، والحال أنّ في الإسلام خمس أوقات شرعيّة، سبعة عشر ركعة في قالب خمس صلاة تؤدّى بشكل خاصّ[1]، وعلاوة على ذلك فإنّ هناك اختلافًا في طريقة أداء الصلاة، فإنّ صلاة المسيحيّين تؤدّى كصلاة اليهود في شكل ترتيل للأناشيد، بخلاف الصلاة في الإسلام فهي تؤدَّى بطريقة مختلفة عنهما.

فبناء على ما تقدّم، وما ذكر من اختلاف، فإنّ ادّعاء «ونسيك» حول أخذ الصلاة من اليهود والمسيحيّين غير صحيح، والشاهد الذي أتى به من صحيح البخاريّ أيضًا لا يكفي، لأنّ رواية البخاريّ في هذا المجال تقول إنّ النبيّ حينما جمع بين صلاة الظهر والعصر، وكذلك بين المغرب والعشاء كان في حال اختيار؛ لذا فإنّ مقارنة حديث البخاري مع متن الكتاب المقدّس واعتباره دليلًا على أخذ النبيّ ﷺ الصلاة من اليهود، ناتج عن عدم التدقيق في مضمون كلا العبارتين، حيث لا يصحّ الاستدلال به لإثبات مدّعى المستشرقين، ومن جانب آخر فإنّ التشابه ليس دليلًا على أخذ الدين اللاحق من السابق، بل يمكن أن يُعتَبر مؤيّدًا لأصل تشريع عمل عباديّ، كالصلاة في الأديان المختلفة التي مصداقها الأتمّ والأكمل تجلّى في الصورة النهائيّة للتشريع.

إضافة لذلك، وكما نُقل عن بعض المحقّقين بأنّ الصلاة عند اليهود قد تأثّرت بالإسلام، سواء في المقاطع التي عدّلت التي أوجدها موسى بن ميمون في الدين اليهوديّ، والتي شملت الصلاة أيضًا؛ لأنه من المعروف بأنّه قد تأثّر بالإسلام كثيرًا.

---

١. راجع: المحقّق الحلّيّ، المختصر النافع، ٦٨.

**ثالثًا: المستشرقون وصفات النبيّ ﷺ وأخلاقه**

أبدى المستشرقون اهتمامًا واسعًا في التاريخ الإسلاميّ وعلى الخصوص السيرة النبويّة، وطرحوا ادّعاءات حول خصائص النبيّ الأكرم ﷺ الفرديّة والاجتماعيّة[١] وسنذكر هذه الادّعاءات في التحقيق والنقد على قسمين.

**١. المستشرقون وخصائص النبيّ ﷺ الشخصيّة:**

نودّ التذكير أوّلًا بأنّ المستشرقين على اتجاه مضادّ مع صفة أمّيّة النبيّ الأكرم ﷺ، فبعضهم يقول: إنّ النبيّ لم يكن أمّيًّا (بمعنى أنّه لا يقرأ)، بل إنّ المسلمين ادّعوا هذا لإثبات إعجاز القرآن، وبناء على هذا الرأي، فإنّ النبيّ لا يكون أمّيًّا، بل يتمكّن من القراءة والكتابة.

وقبال هذه الفكرة ثمّة من يذهب إلى عكس ذلك، فهم يقولون بأمّيّة النبيّ ﷺ بالمعنى الحقيقيّ، أي أنّ النبيّ لا يقرأ ولا يكتب، ويسخّرون هذه الفكرة للطعن في شخصيّة النبيّ الأكرم ﷺ فيعدّونها خدشة في النبيّ بعنوانه صاحب شريعة جديدة ويتّصل بالوحي[٢].

وبناءً على ذلك، فبعض المستشرقين استنادًا إلى مفردة (أمّيّ) طرحوا ادّعاءات حول النبيّ ﷺ فيما يلي بعض نماذجها:

١. **يقول شبرنكر**: مفردة (أمّيّ) تعني عابد الصنم، معادلة لكلمة (جنتاليس)، والأمّي هو الشخص الذي يمكنه القراءة لكن لا يعرف الكتابة[٣].

٢. **يقول نيكلسون**: أمّيّ ليس بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة، بل تعني عدم الاطّلاع والمعرفة بالكتب السابقة، وأنّ محمّدًا كان تاجرًا، فلا بدّ أن يعرف القراءة والكتابة[٤].

---

١. راجع: الشرقاوي، الاستشراق، ١٢٥ـ١٤٨.

٢. راجع: المرطعني، افتراءات المستشرقين على الإسلام، ١٩١.

٣. بدوي، الدفاع عن القرآن أمام آراء المستشرقين، ٢: ٤٢٤.

٤. فؤاد، من افتراءات المستشرقين، ٢٠٦.

٣. **ويقول رودول**: إنّ محمّدًا كاتب؛ وذلك لأنّه هو الذي كتب القرآن[١].

والتحقيق في جواب القسم الأوّل، نقول إنّ الإعجاز صفة ذاتيّة للقرآن:

إنّ القرآن بما هو قرآن هو معجزة، يعني أنّ ما نزل من الله بواسطة جبرئيل على النبيّ الأكرم ﷺ بعنوان قرآن، هو بنفسه معجزة؛ ولذا لا يحتاج إلى شيء خارج عنه لإثبات إعجازه، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ (الإسراء: ٨٨).

إن مفردة (أمّي) لغة تعني (الشخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة).

وعرفه ابن منظور قائلًا: أمّيّ (بمعنى لم يتعلّم[٢]).

**يقول الراغب**: الأمّي الذي لا يقرأ كتاب ولا يكتب، وآية ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا**﴾ (الجمعة: ٢) حملت على هذا المعنى[٣].

وذكر السيوطيّ عدّة معانٍ لمفردة (أمّيّ) وجميعها تعود لمعنى عدم القراءة والكتابة:

١. لم يدرس ولم يتعلّم أيّ خطّ أو كتابة.

٢. نسبة إلى (الأمّ) أي بقي على ما ولدته أمّه.

٣. مشتقّة من (الأمّة) يعني على عادة أكثر أهل زمانه لا يقرؤون ولا يكتبون.

كما ورد في الحديث: أبي حاتم عن إبراهيم النخعيّ حول الآية ١٥٧ من سورة الأعراف، سأل ما معنى (النبيّ الأمّيّ)؟ فقال النخعيّ: (كان لا يكتب ولا يقرأ)، أي أنّ النبيّ ﷺ لا يقرأ ولا يكتب[٤].

ويقول العلّامة الطبرسيّ: الأمّيّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب[٥].

---

١. صادقي، رويكرد خاورشناسان به قرآن، ١٥٩.

٢. ابن منظور، لسان العرب، ١: ٢٢٠.

٣. الراغب الأصفهاني، المفردات، ٢٠٨.

٤. السيوطي، الدر المنثور، ٣: ١٣١.

٥. الطبرسي، مجمع البيان، ٤: ٣٧٣.

والدليل على حمل معنى عدم القراءة والكتابة على مفردة (أمّي) هو أنّ التاريخ لم ينقل لنا بأنّ النبيّ قد كتب شيئًا ولو مرّة واحدة، بل إنّه ﷺ كان يستخدم أشخاصًا يكتبون له رسائله لرؤساء القبائل.

ومن الشواهد التاريخيّة التي تدلّ على عدم قراءة النبيّ ﷺ وكتابته ما يأتي:

إنّ أكثر أهل زمان النبيّ ﷺ كانوا لا يقرأون ولا يكتبون سوى عدد قليل منهم، فإذا كان النبيّ يكتب أو يقرأ، فمن المؤكّد أن ينقله التاريخ، هذا الأمر لا يتنافى مع قدرة النبيّ على القراءة والكتابة، إذ لا يوجد هناك أيّ مستند يُشير إلى عدم قدرة النبيّ على القراءة والكتابة، بل نسب إليه القرآن هذه الخصوصيّة حيث يقول: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ (العنكبوت: ٤٨) وكذلك رواية النخعيّ بأنّه أمّيّ (كان لا يقرأ) والتي تؤيّد هذا المعنى.

وكذلك تعيين النبيّ ﷺ أشخاصًا يكتبون القرآن (كتاب الوحي) وآخرين يكتبون الرسائل والمعاهدات والشؤون الإداريّة لبيت المال، ومن بين هؤلاء كان: عليّ بن أبي طالب ؈ عثمان بن عفان، عمرو بن العاص، معاوية بن أبي سفيان، شرحبيل ابن حسنة، عبد الله بن أبي سرح، المغيرة بن شعبة، معاذ بن أبي جبل، زيد بن ثابت، حنظلة بن الربيع، أبي بن كعب، الجهم بن الصلت، الحصين بن نمير[1].

كان صلح الحديبيّة من الأحداث التاريخيّة المهمّة في صدر الإسلام، وكان ذلك بين المسلمين ومشركي قريش، وطبقًا لما نقله التاريخ أنّ النبيّ ﷺ وسهيل بن عمر ومن جانب المشركين، قد أعدّا مواد معاهدة الصلح وكتب ذلك عليّ بن أبي طالب، وعندما قال النبيّ الأكرم ﷺ: «هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله»... قال سهيل: نحن لا نقرّ برسالتك ونبوّتك، عندها قال: النبيّ ﷺ لعليّ ؈ امسح لفظ (رسول الله) فقال عليّ ؈ بكلّ أدب: يا رسول الله، اليد التي كتبت (رسول الله) لا تجرؤ على مسح ذلك، فقال له النبيّ ﷺ ضع إصبعي على كلمة (رسول الله)، فلما

١. راجع: على، السيرة النبويّة وكيف حرّفها المستشرقون، ٦٤.

وضع أصبع النبيّ ﷺ على كلمة (رسول الله) مسحه بإصبعه[١]. هذه الحادثة تشير إلى أنّ النبيّ الأكرم ﷺ ما كان يقرأ ولا يكتب، وإلّا ما كان يحتاج أن يطلب من عليّ أن يضع إصبعه على كلمة (رسول الله) كي يمسحها. فبناء على هذا، ومع الأخذ بنظر الاعتبار المعنى اللغويّ المستعمل في القرآن والحديث، فإنّ ادّعاء شبرنكر، ونيكلسون، ورودول ادّعاء بلا دليل؛ لأنّ المعنى الذي ذكروه لا تؤيّده اللغة، وليس في القرآن مثل هذا المعنى، وكذلك لم يرد في الحديث والتاريخ.

**٢. شبهات المستشرقين حول خصائص النبيّ ﷺ الاجتماعيّة**

يقول روبرت هيوم: الإسلام الدين الوحيد الذي بدأ دعوته على أساس مخالفة المسيحيّة، ومع هذا فهو ليس له هدف أو فكرة جديدة في الفكر الدينيّ العالميّ، ولم يقدّم أيّ شيء في هذا الميدان[٢].

**ويقول بودلي**: إنّ النبيّ ﷺ كان في مواجهة مع بني إسرائيل ودين الإسلام مخالف وضدّ الدين المسيحيّ[٣].

والتحقيق في المسألة أنّ الهدف من إرسال وبعث الأنبياء في نظر الإسلام هو دعوة الناس إلى التوحيد الخالص، وجميع الأنبياء دعوا إلى هذا الهدف، ويعبّر القرآن عن هذا الهدف بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

ومن هنا، فإنّ لجميع الأنبياء شخصيّة حقوقيّة مشتركة، وفي تبليغ رسالتهم أيضًا لهم وجوه ونقاط مشتركة، وأسلوب دعوتهم أيضًا تدور حول عدّة أصول كلّيّة من قبيل (الإنذار والتبشير).

فالأنبياء بواسطة الإنذار يردعون الناس عن الذنب ومصيره المشؤوم (جهنم) ويدعون إلى

---

١. المفيد، الإرشاد، ١: ١٢٠؛ الأربلي، كشف الغمّة، ١: ٢٠٩؛ الطبرسيّ، أعلام الورى، ١: ٣٧٢؛ السبحانيّ، فروغ دين، ٦٧٦-٦٧٨.

٢. هيوم، أديان زنده جهان، ٣٣٨.

٣. راجع: المقدادي، الإسلام وشبهات المستشرقين.

الله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥).

(مكافحة الظلم والفساد) من المسؤوليّات البارزة التي تحمّلها الأنبياء، الجهاد ضدّ الظلم والفساد الذي يبتلى به المجتمع.

(إزالة الاختلاف) ومن المهام الأخرى التي يتحمّلها الأنبياء هي إزالة الاختلاف والنزاع بين الناس.

مع وجود هذه الوجوه، كيف يمكن للنبيّ الاختلاف والعداء للمسيح عليه السلام ودينه، وهو الذي قد ذكره في القرآن والحديث بإجلال وعظمة، ويعدّ رفع الاختلاف بين الناس إحدى مسؤوليّاته؛ إذ إنّ تكذيب نبيّ واحد يعني تكذيب جميع الأنبياء؛ لأنّهم جميعًا يشتركون بهدف واحد، فالذي ينكر نبيًّا واحدًا، فهو بحكم من ينكر نبوّة جميع الأنبياء[1]. وعليه فعلى المؤمنين أن يكون لهم اعتقاد بذلك ويقولون: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

إنّ المؤمن الذي يعتقد برسالة نبيّ ما لا يمكن أن يكذب رسالة أحد من الأنبياء، فكيف يكون للنبيّ الذي يحمل أهداف الأنبياء نفسها أن يخالف أو يعادي الأنبياء السابقين في دينهم وشريعتهم.

والحال أنّ القرآن ينقل نبوءة المسيح عليه السلام بخصوص نبوّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

وقد ورد في القرآن أيضًا التصديق برسالة المسيح عليه السلام، فقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة: ٧٥).

وفي آية أخرى يعرف القرآن رسالة المسيح عليه السلام للعالم، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

١. الجوادي الآملي، سيره پيامبران در قرآن، ٦: ٥٥.

﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

إنّ الآيات التي منعت المسلمين من تولّي اليهود والمسيحيّين ومجانستهم في الاعتقاد، وأمرتهم بقتالهم[١] كانت بسبب ما يحمله اليهود والمسيحيّون من عقائد منحرفة شركيّة، لا لكونهم يهودًا أو مسيحيّين فقط، يقول المفسّرون في تفسير الآية ٥١ (من سورة البقرة) والآية ٢٩ (من سورة التوبة) منع المؤمنون من الاعتقاد بما يعتقد به اليهود والمسيحيون وموالاتهم؛ لأنّ اليهود والمسيحيّين لم يتّبعوا الحقّ، وأصرّوا على الكفر؛ لذا أمر القرآن بقتالهم[٢].

وفي التدقيق في هاتين الآيتين نرى أنّ الانحراف العقائديّ كان موجبًا لأمر المسلمين بعدم موالاة اليهود والمسيحيّين، وإصرارهم على الكفر والضلال وعدم إطاعة الحقّ كان أيضًا موجبًا أن يأمر الله المسلمين بقتال أهل الكفر، تحدّثت الآيات السابقة عن توبيخ قوم موسى بسبب مطالبهم الخاطئة التي طلبوها من موسى عليه السلام، حيث يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

وإنّ موسى قد وبّخ قومه بسبب مطلبهم اللامعقول[٣]؛ لأنّه عمل وثنيّ ونابع عن الجهل، وهو عديم الثمرة، ويجرهم إلى الهلاك[٤].

وطلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام رؤية الله، ممّا دعا موسى إلى تقبيح طلبهم أيضًا قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١٥٣).

---

١. راجع: التوبة: ٢٩.

٢. الشافعي، أحكام القرآن، ٢: ٦٣٣؛ الجرجاني، آيات الأحكام، ٢: ٤١.

٣. راجع: الجوادي الآملي، سيره پيامبران در قرآن، ٧: ١٣٧.

٤. مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ٢: ٨٧.

وكذلك الحال بالنسبة للمسيحيّين، فإنّهم يحملون عقيدة خرافيّة، وقد قرعهم القرآن بسبب اعتقادهم المنحرف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة: ٧٣) ولذا أجاب القرآن بشكل قاطع بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (المائدة: ٧٣) ولذا فإنّ القرآن تابع التوبيخ والتهديد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٧٣).

وفي آية أخرى يبيّن القرآن عقائد الشرك عند اليهود والمسيحيّين، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠).

إذا كان القرآن قد تحدّث بحزم مع أهل الكتاب، فهذا يعود لما يحملونه من عقائد الشرك في العبادات.

إذن فإنّ النبيّ ﷺ قد وبّخ اليهود والنصارى بسبب عقائدهم غير التوحيديّة، حتى أنّ أنبياء اليهود والمسيحيّين، النبيّ موسى عليه السلام والنبيّ عيسى عليه السلام، هم أيضًا قد وبّخوا بني إسرائيل على هذه العقائد الشركيّة، وبناء على ذلك فإنّ الجهاد ضدّ الثقافة والعقيدة الخاطئة هو مسؤوليّة جميع الأنبياء، وهذا لا يعني مخالفة النبيّ الأكرم ﷺ لعموم دين بني إسرائيل، وبناء على ما تقدّم، فإنّ ادّعاءات (رابرت هيوم) لم تنطوِ سوى على مواضيع فاقدة للدقّة في المصادر الإسلاميّة.

وإنّ ادّعاءات (كولي) هي أيضًا ناشئة عن تعصّب؛ لأنّ السيرة العمليّة للنبيّ ﷺ تشير إلى أنّ النبيّ منذ بدء رسالته إلى وفاته، لم يدعُ إلى الإسلام بالإكراه، وقد دعا الناس إلى الإسلام دومًا بحسن الأخلاق.

وأنّه قد عاش بسلم في المرحلتين (المكّيّة والمدنيّة)، فهو ما يذكره المخالفون أيضًا، وإنّ ما تحمّله النبيّ وأصحابه من أذى في مكّة من الأعداء، وقابله النبيّ بالعفو العام عند فتح مكّة هو من أبرز مصاديق سعة وعظمة أخلاقه.

إنّ ادّعاء (رابرت هيوم) بأنّ النبيّ لم يأت بفكرة جديدة، هو أيضًا غير صحيح، لأنّ هذا

المستشرق لو كانت لديه دقّة في القرآن وبسنّة النبيّ الأكرم ﷺ قارن ذلك مع الكتاب المقدّس، لرأى أيّهما قد جاء للبشريّة بأفكار جديدة تقترن بالعقل ومتناغمة مع مختلف الأزمنة، إنّ القرآن المجيد والسنّة النبويّة غنيّة بالحكمة والقوانين للفرد والمجتمع.

**الخاتمة**

من خلال ما طرح من مواضيع في مجال الردّ على شبهات المستشرقين حول سيرة النبيّ الأكرم ﷺ من قبيل عقيدة التوحيد، تشريع الصلاة، مفهوم الأمّيّ، تعامل النبيّ مع سائر الأديان، ونظرته للمسيح عليه السلام، وهي ادّعاءات تفتقر للرؤية المتفحّصة في المصادر الإسلاميّة وكانت بعض هذه الادّعاءات نابعة عن عناد وعداء للنبيّ ﷺ وتعصّب مقيت.

الدراسة في سيرة النبيّ ﷺ في الفترتين المكّيّة والمدنيّة، تبيّن أنّ عقيدة التوحيد عند النبيّ تفترق أساسًا عمّا عليه عقيدة قبائل العرب فيما يخصّ وجه الاشتراك في اسم (الله).

إنّ تشريع الصلاة في الإسلام يختلف أساسًا مع ما عند اليهود والمسيحيّين، على الرغم من أنّها من العبادات التي تؤدّى عندهم، وإن كان ثمّة تشابه، فهذا لا يدلّ على الاقتباس، بل هذه ما يؤيّد أصل تشريع الصلاة.

ادّعاء المستشرقين حول سيرة النبيّ الاجتماعيّة بأنّها متّصفة بالخشونة في التعامل مع أهل الديانات الأخرى، أمر غير مقبول، لأنّ إعلان العفو العامّ في فتح مكّة وصلح الحديبيّة يشير إلى خلاف هذا الادّعاء.

بخصوص مسألة أميّة النبيّ ﷺ تبيّن أنّ ادّعاءات «رودول» بأنّ القرآن كتبه النبيّ ﷺ هو ادّعاء غير مقبول؛ لأنّ القرآن هو بنفسه معجز ولا يحتاج إلى أمر خارجيّ لإثبات إعجازه، وكذلك فإنّ أمّيّة النبيّ ﷺ بمعنى عدم القراءة والكتابة ضمن معان أخرى لمفردة (أمّيّ)، هو ادّعاء غير مقبول أيضًا.

**لائحة المصادر والمراجع**


١. القرآن الكريم، ترجمة دكتور: محمد علي رضايي أصفهاني، وعدد من أساتذة جامعة المصطفى، نشر المصطفى، ط٢، ١٣٨٨.

٢. الكتاب المقدّس، مؤسّسة الكتاب المقدّس، إيران، ١٩٣٢م.

٣. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار احياء التراث العربيّ، ط١، ١٩٨٨م.

٤. ـــــــــــــــ، السيرة النبويّة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦ق.

٥. ـــــــــــــــ، تفسير ابن كثير، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٢م.

٦. ابن سيد الناس الإشبيلي، محمد بن عبد الله بن يحي، عيون الأثر، بيروت، مؤسّسة عز الدين، ١٩٨٦م.

٧. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، قم، مكتبة إسلامي.

٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦ق، وقم نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ق.

٩. آريان پور، منوچهر، فرهنگ همراه انگليسي فارسي، طهران، نشر الكترونيكى و اطلاع رسانى جهان رايانه امين، ط٢٢.

١٠. أسود، عبد الزراح، موسوعة الأديان والمذاهب، بيروت، الدار العربية، ١٤٢٢ق.

١١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار الفكر، ١٤٢٥ق.

١٢. بدوى، عبد الرحمن، دفاع از قرآن در برابر آراء خاورشناسان، ترجمه: دكتر سيد حسن سيدى، ايران، مشهد، آستان قدس رضوى، شركت به نشر، ١٣٨٣ش.

١٣. بدوي، عبد الرحمن، الدفاع عن محمد ضد المنتقدين من قدره، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية.

١٤. بودلى، ر.ف، الرسول حياة محمد، ترجمة: محمد محمد، مصر، مكتب المصرية.

١٥. توفيقي، حسين، آشنايي با اديان بزرگ، قم، مؤسسة فرهنگى مركز جهانى علوم اسلامى، ١٣٧٩ش.

١٦. الجرجاني، أبو الفتح، آيات الأحكام، تحقيق ولي الله اشراقي، طهران، نويد، ١٣٦٢ش.
١٧. الجوادي الآملي، عبدالله، سيره رسول اكرمﷺ در قرآن، قم، نشر إسراء، ط٢، ١٣٧٩.
١٨. الحسني، هاشم معروف، اخبار وآثار ساختگي، ترجمه: حسين صابري، مشهد، بنياد پژوهش‌هاى اسلامى، ط٢، ١٣٧٢ ش.
١٩. الحلبي، السيرة الحلبية، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠ق.
٢٠. الخطيب، عجاج، السنة قبل التدوين، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩١ق.
٢١. دائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة: أحمد الستتناوي، بيروت، دار المعرفة.
٢٢. راضي نصار، صاحب محمد حسين، «شرق‌شناسى و شريعت اسلامى»، ترجمة: أحمد ناظم، مجلة فقه، السنة الرابعة، العدد ٥٤، شتاء ١٣٨٦ش.
٢٣. الراغب الأصفهاني، حسين، المفردات في غريب القرآن، ١٤٠٤ق.
٢٤. السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٥ق.
٢٥. السبحاني، جعفر، فروغ ابديت، قم، دفتر تبليغات اسلامى، ط٢٣، ١٣٨٣ش.
٢٦. السيد مرتضى، علي بن الحسين، الانتصار، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٥ق.
٢٧. السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، ١٤٢٣ق.
٢٨. الشافعي، محمد بن إدريس، أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٢ق.
٢٩. الشرقاوي، محمد عبد الله، الاستشراق، دراسات تحليليّة تقويميّة، القاهرة، دار الفكر العربي.
٣٠. الشلبي، أحمد، مقارنة الأديان، المسيحيّة، القاهرة، مكتبة النهضة المصريّة، ط١٠، ١٩٩٨م.
٣١. الصدوق، محمد بن علي بن حسين (ابن بابويه القمي)، من لا يحضره الفقيه، تصحيح: محمد آخوندى، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٠ق.
٣٢. صادقى، تقى، رويكرد خاورشناسان بر قرآن، فرهنگ‌گستر، ١٣٧٩.

٣٣. الصغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤١٣ق.

٣٤. الطبرسي، فضل بن حسن، أعلام الورى، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠ق.

٣٥. ــــــــــــــــ، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، ناصر خسرو، ١٣٧٢ش.

٣٦. على، محمد عبدالعظيم، السيرة النبوية و كيف حرفها المستشرقون، جبرى، عبدالمتعال محمد، دار الدعوة، ١٤١٤ق.

٣٧. فؤاد، عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام، رياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢ق.

٣٨. الكلبي، هشام بن محمد، الأصنام، ١٤١٤ق.

٣٩. كلدزيهر، ايكناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف، بيروت، دار الرائد العربية الحديثة، ١٩٤٦م.

٤٠. مالرب، ميشل، انسان و اديان، ترجمة مهران توكلي، طهران، نشر نى، ١٣٧٩ش.

٤١. المحقق الحلي، جعفر بن حسن، المختصر النافع، مؤسسة البعثة، ط٤، ١٤١٦ق.

٤٢. المرطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، افتراءات المستشرقين على الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٣ق.

٤٣. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، قم، مؤسسة إسماعيليان.

٤٤. معارف، مجيد، تاريخ عمومى حديث، طهران، كوير، ط٩، ١٣٨٧ش.

٤٥. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الإرشاد، تعليق: هبة الله شهرستانى، قم، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤١٣ق.

٤٦. المقدادي، فؤاد كاظم، اسلام وشبهات المستشرقين، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤١٦ق.

٤٧. مكارم الشيرازي، ناصر، برگزيده تفسير نمونه، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٧٧ش.

٤٨. الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، دمشق، دار القلم، ط٩، ٢٠٠٠م.

٤٩. سيد وريشاريم، نماز يهوديان، ترجمة: يونس حمامى لاله زار، طهران، انجمن كليميان، ١٣٨٢ش.

٥٠. هنيلز، جان راسل، راهنمايى اديان زنده، عبدالرحيم گواهى، قم بوستان كتاب، ١٣٨٥ش.

٥١. هيوم، رابرت ا.، اديان زنده جهان، جعفرى تبريزى، محمد تقى، ترجمة الي لغة الفارسي، گواهى، عبدالرحيم، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، ١٣٧٣ش.

52. Oxford Advanced Learner's Dictionary As Hornby, Oxford University Press.